أَرْثُورْ رَامْبُوُ

مُنَمْنَمَاتُ

تَرْجَمَةُ وَتَقْدِيمُ: رَشِيدْ وَحْتِي

خَاصٌّ بِمَكْتَبَةِ مَوْقِعِ لَازَوَرْدْ

صورةُ الغلاف: رامبو بريشة پيكاسو

فِي مُصَادَرَةِ رَامْبُو نَقْدِياً وَتَرْجَمِياً

نَمْنَمَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ: خَطَّتْهُ وَتَرَكَتْ عَلَيْهِ أَثَراً شِبْهَ الْكِتابَةِ، وَهُوَ النِّمْنِمُ وَالنِّمْنِيمُ؛ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ: فَيْفٌ عَلَيْهاَ لِذَيْلِ الرِّيحِ نِمْنِيمُ. والنَّمْنَمَةُ: خُطُوطٌ مُتَقارِبَةٌ قِصارٌ شِبْهُ ما تُنَمْنِمُ الرِّيحُ دُقاَقَ التُّرَابِ، وَلِكُلِّ وَشْيٍ نَمْنَمةٌ. وَكِتاَبٌ مُنَمْنَمٌ: مُنَقَّشٌ. ونَمْنَمَ الشَّيْءَ نَمْنَمَةً أَيْ رَقَّشَهُ وَزَخْرَفَهُ. وَثَوْبٌ مُنَمْنَمٌ: مَرْقُومٌ مُوَشًّى؛ قَالَ رُؤْبَةُ يَصِفُ قَوْساً رُصِّع مَقْبِضُهاَ بِسُيُورٍ مُنَمْنَمَةٍ: رَصْعاً كَساَهاَ شِيَةً نَمِيماً (أَيْ: نَقَشَهاَ، يُضِيفُ الْفَراَهِيدِي، فِي كِتاَبُ الْعَيْنِ). [اِبْنُ مَنْظُورٍ: **لِسَانُ الْعَرَبِ**.]

شَاعِرٌ مَشَّاءٌ بِامْتِيَازٍ. جَعَلَ مِنْ حَيَاتِهِ وَشِعْرِهِ مَسَاراً وَاحِداً، فَقَدْ كَانَ رَامْبُو يَبُثُّ قَصَائِدَهُ خَرَائِطَ تَجْوَالِهِ بِطَرِيقَةٍ أَلْمَعِيَّةٍ، إِذْ أَنَّ عَنْوَنَةَ دِيْوَانِهِ **مُنَمْنَمَاتٌ** *Illuminations* وَالْكَلِمَاتِ الْإِنْجْلِيزِيَّةَ الَّتِي تَحْوِيهَا الْقَصَائِدُ إِشَارَةٌ حَاذِقَةٌ لِفَتْرَةِ إِقَامَتِهِ اللُّنْدُنِيَّةِ [1874—1872]، تِلْكَ الْإِقَامَةِ الَّتِي زَادَتْ مِنْ حَاسَّةِ رَامْبُو التَّشْكِيلِيَّةِ وَحُضُورِهَا فِي قَصِيدَتِهِ، مِنْ خِلَالِ اسْتِحْضَارِهَا لِمَائِيَّاتِ التَّشْكِيلِيِّ الْإِنْجْلِيزِيِّ تِرْنِرْ Turner.

وَقَدْ شَكَّلَ هَذَا الْحُضُورُ الْمُعْجَمِيُّ وَالتَّشْكِيلِيُّ الْقَوِيَّانِ قَرِينَةً فَكَّتْ لُغْزَ تَأْرِخَةِ الدِّيْوَانِ: هُوَ آخِرُ مَا أَنْجَزَ شِعْرِياً، فَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ فَصْلٌ فِي الْجَحِيمِ. أَمَّا الْكَلِمَةُ الْأَلْمَانِيَّةُ [wasserfall] الْوَارِدَةُ فِي قَصِيدَةِ فجْرٌ، فَهِيَ تَلْمِيحٌ لِإِقَامَتِهِ بِشْتُوتْغَارْتْ سَنَةَ 1875.

هَذَا السَّفَرُ بَيْنَ الْمُدُنِ مُقْتَرِنٌ بِسَفَرِ رَامْبُو بَيْنَ أَشْكَالٍ شِعْرِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ: جَرَّبَ فِي بِدَايَاتِهِ الْقَصِيدَةَ الْمَوْزُونَةَ، فَتَرَكَهَا نَحْوَ قَصِيدَةِ النَّثْرِ، حَيْثُ اعْتُبِرَ رَائِدَهَا بَعْدَ مُنْجَزَاتِ الْبِدَايَةِ مَعَ لُوِي بِرْطْرَانْ Louis Bertrand، شَارْلْ بُودْلِيرْ Charles Baudelaire وَلُوتْرِيَامُونْ Lautréamont.

وَقَدْ عَانَتْ نُصُوصُ رَامْبُو مِنْ بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ الْمُغْرِضَةِ عَلَى يَدِ كُتَّابٍ يُجَاهِرُونَ بِوَرَعِهِمُ الْمَسِيحِيِّ، وَذَلِكَ انْطِلَاقاً مِنْ شَهَادَاتٍ لِأُخْتِهِ وَصِهْرِهِ عَنْ إِيْمَانِ رَامْبُو الْعَمِيقِ غَدَاةَ عَوْدَتِهِ الْأَخِيرَةِ إِلَى فَرَنْسَا؛ وَقَدْ زَكَّى الشَّاعِرُ بولْ كْلُودِيلْ Paul Claudel هَذَا الْمَسْعَى بِاعْتِبَارِهِ لِرَامْبُو "صُوفِياً فِي حَالَتِهِ

الْبِدَائِيَّةِ "Un mystique à l'état sauvage"؛ فَثَارَتْ ثَائِرَةُ أَنْدْرِي بْرُطُونْ André Breton، مُنَظِّرِ الْحَرَكَةِ السُّرْيَالِيَّةِ، الَّذِي رَأَى فِي الْأَمْرِ "مُصَادَرَةً لِرَامْبُو لِصَالِحِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ."[1]

وَلِهَذِهِ الْمُصَادَرَةِ صَدَاهَا عَلَى مُسْتَوَى تَلَقِّي رَامْبُو عَرَبِيًّا. فَعَبْرَ إِسْقَاطَاتٍ لَا تَارِيخَانِيَّةٍ جَعَلَ مِنْهُ أَدُونِيسْ[2] شَاعِراً صُوفِياً عَلَى شَاكِلَةِ الْحَلَّاجِ وَابْنِ عَرَبِي. هَذَا مُقَارَبَةً، أَمَّا تَرْجَمَةً، فَقَدْ نَقَلَ كَاظِمْ جِهَادْ، بِدَايَةً مِنَ الْعُنْوَانِ [إِشْرَاقَاتٌ]، شِعْرَ رَامْبُو إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مُسْتَنِداً إِلَى "بَهَارَاتِ" الْمُعْجَمِ الصُّوفِيِّ. بَعْدَ الْمُصَادَرَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ، تَأْتِي الْمُصَادَرَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِذَنْ.

فَكَثِيراً مَا تَجَلَّى رَامْبُو لِلْمُتَلَقِّي الْعَرَبِيِّ مُسَرْبَلًا بِجُبَّةِ الْحَلَّاجِ! وَأَوَّلُ التَّحْرِيفَاتِ الَّتِي تُجَارِي هَذِهِ الْقِرَاءَةَ، الَّتِي لَا تَسْتَنِدُ لِقَرَائِنَ دَامِغَةٍ، أَنْ تُتَرْجَمَ *Illuminations* بِـ **الْإِشْرَاقَاتِ**. فَفِي تَقْدِيمِ پُولْ فِرْلِينْ Paul Verlaine لِلدِّيْوَانِ سَنَةَ 1886، يُشِيرُ إِلَى "كَوْنِ الْعُنْوَانِ الْفَرْعِيِّ الَّذِي أَعْطَاهُ رَامْبُو لِمَخْطُوطِهِ هُوَ *Coloured plates* **صُحُونٌ مُلَوَّنَةٌ** [بِالْإِنْجْلِيزِيَّةِ]." وَلَكِنَّ فِرْلِينْ، سَنَةَ 1878، كَانَ قَدْ حَدَّثَ شَارْلْ دُو سِقْرِي Charles de Sivry عن **مُنَمْنَمَاتٍ** [**صُحُونٍ مُنَمْنَمَةٌ**] *Illuminations* [Painted plates]. مَهْمَا يَكُنْ، فَالْعُنْوَانُ ذُو أُصُولٍ إِنْجْلِيزِيَّةٍ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الدِّيْوَانَ مُتْرَعٌ بِكَلِمَاتٍ إِنْجْلِيزِيَّةٍ، بَلْ حَتَّى الْخَلْفِيَّةُ الْفَضَائِيَّةُ الْمَدِينِيَّةُ الْمُضَبَّبَةُ وَالْأَجْوَاءُ اللُّنْدُنِيَّةُ لَيْسَتْ غَرِيبَةً عَنِ الْقَصَائِدِ.

---

[1] أَنْدْرِي بْرُطُونْ، **مُقَابَلَاتٌ**، 1952.

[2] أَدُونِيسْ، **فِي الصُّوفِيَّةِ وَالسُّورْيَالِيَّةِ**، دار الساقي.

يَبْقَى رَامْبُو إِذَنْ، رَغْمَ الْعَمَى اللَّاهُوتِيِّ، شَاعِراً أَنْجَزَ خِطَاباً وَقَفَ ضِدَّ كُلِّ الْهُوِيَّاتِ الَّتِي تَأْسَرُ الْإِنْسَانَ وَطَاقَاتِهِ الْخَلَّاقَةَ. وَبِهَذَا الْحِسِّ تَرْجَمْنَا، هُنَا، مُنَمْنَمَاتِهِ.

اَلْمُتَرْجِمُ.

قَديمٌ

يَا ابْنَ پَأَنْ[1] الْفاَتِنَ! حَوْلَ جَبِينِكَ الْمُكَلَّلِ بِالزُّهَيْرَاتِ وَعَيْنَيْكَ الْمُحاَطَتَيْنِ بِالْعَنَبِيَّاتِ، ثَمَّةَ كُرَيَّاتٌ كَرِيمَةٌ، تَتَحَرَّكُ. مُبَقَّعَتَيْنِ بِالسُّلاَفاَتِ الدَّاكِنَةِ، وِجْنَتاَكَ تَتَحَفَّرَانِ. أَسْناَنُكَ الْمُعْوَجَّةُ تَلْمَعُ. صَدْرُكَ يُشْبِهُ آلَةَ سِيثاَرٍ، ثَمَّةَ جَلْجَلاَتٌ تَدوُرُ فِي ذِراَعَيْكَ الْأَشْقَرَيْنِ. قَلْبُكَ يَخْفِقُ فِي هَذاَ الْبَطْنِ حَيْثُ يَرْقُدُ الْجِنْسُ الْمُضاَعَفُ. تَفَسَّحْ، مَساَءً، وَأَنْتَ تُحَرِّكُ بِرَفْقٍ ذاَ الْفَخِذَ، ذاَكَ الْفَخِذَ الْآخَرَ وَهاَتِهِ الساَّقَ الْيُسْرىَ.

---

[1] الْإِلَهُ Pan: إِلَهُ رُعاَةِ مَنْطَقَةِ أَرْكاَدْياَ Arcadie، فِي الْيوُناَنِ الْقَدِيمَةِ. إِلَهُ الْخِصْبِ. يُتَمَثَّلُ كَماَرِدٍ لَهُ أَظْلاَفُ وَذَنَبُ ماَعِزٍ، جِسُدُ رَجُلٍ مُزَغَّبٌ، وَجْهٌ بِلِحْيَةٍ وَقُرُونٍ. يَحْمِي وَيُخَصِّبُ الْقُطْعاَنَ، يَتَرَأَّسُ رَقَصاَتِ الْحوُرِيَّاتِ – يَتْبَعُهُنَّ لَعَلَّهُ يَقْضِي مِنْهُنَّ وَطَراً، لِقُدُراَتِهِ الْجِنْسِيَّةِ الْخاَرِقَةِ — وَهُوَ يَنْفُخُ فِي آلَةٍ موُسِيقِيَّةٍ [السِّيثاَرْ]، لَكِنَّ ظُهوُرَهُ الْمُفاَجِئَ أَحْياَناً يُثِيرُ الْهَلَعَ.

كَائِنُ جَمَالٍ

أَمَامَ ثَلْجٍ ثَمَّةَ كَائِنُ جَمَالٍ ذُو قَامَةٍ سَامِقَةٍ. صَفِيرُ مَوْتَى وَدَوَائِرُ مُوسِيقَى صَمَّاءِ تَجْعَلُ هَذَا الْجَسَدَ الْمَعْبُودَ يَصْعَدُ، يَتَّسِعُ وَيَرْتَجِفُ كَطَيْفٍ؛ ثَمَّةَ جِرَاحٌ أُرْجُوَانِيَّةٌ وَسَوْدَاءُ تَتَفَجَّرُ فِي اللَّحْمِ الْبَاذِخِ. الْأَلْوَانُ الْخَاصَّةُ بِالْحَيَاةِ تَمِيلُ نَحْوَ الْقَتَامَةِ، تَرْقُصُ، وَتَنْفَلِتُ مِنْ حَوْلِ الرُّؤْيَا، فِي الْوَرْشَةِ. وَتَصَّاعَدُ الرَّعَشَاتُ وَتُرْعِدُ، وَالطَّعْمُ الْمُهْتَاجُ لِهَذِهِ التَّأْثِيرَاتِ تَتَقَوَّى بِالتَّصْفِيرَاتِ الْمُمِيتَةِ وَالْمُوسِيقَاتِ الْخَشِنَةِ الَّتِي يَصْدَحُ بِهَا الْعَالَمِ، بَعِيدًا مِنْ خَلْفِنَا، فِي وَجْهِ أُمِّ الْجَمَالِ، أُمِّنَا، — إِنَّهَا تَتَرَاجَعُ، تَنْتَصِبُ. آهٍ! عِظَامُنَا كَاسِيَةٌ مَرَّةً أُخْرَى بِجَسَدٍ عَاشِقٍ جَدِيدٍ.

رَحِيلٌ

كَفَى مِمَّا رُئِيَ. لوُقِيَتِ الرُّؤْيَةُ فِي كُلِّ النَّغَمَاتِ.

كَفَـىَ مِـماَّ أُوْتِيَ[1]. صَـخَبُ الْمُـدُنِ، مَـساَءً، وَتَحْـتَ الـشَّمْسِ، وَدَوْماً.

كَفىَ مِماَّ دُرِيَ. تَوَقُّفَاتُ الْحَيَاةِ[2]. — يَا لِلصَّخَبُ وَالرُّؤَى!

رَحِيلٌ فِي[3] الْحُنُوِّ[1] وَالْجَلَبَةِ الْجَدِيدَيْنِ!

---

[1] هَذِهِ الْعِبارَةُ الْجاَفَّةُ، الْمُتَقَصِّدَةُ فِي نَثْرِيَّتِهاَ، الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ، الَّتِي تُضْمِرُ فاَعِلاً يَبْقىَ مَجْهُولاً حَتىَّ نِهاَيَةِ الْقَصِيدَةُ، اعْتُبِرَتْ لَدىَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ وَالدارِّسِينَ جُرْأَةً أُسْلوُبِيَّةً. فِي أُطْرُوحَتِهاَ **قَصِيدَةُ النَّثْرِ مِنْ بوُدْلِيرْ إِلىَ الْيَوْمِ** [Suzanne Bernard, *Le Poème en prose de Baudelaire à nos jours*, Nizet, 1959, p.183]، تُعَلِّقُ سوُزاَنْ بِرْناَرْ: "عِباَرَةٌ غَرِيبَةٌ، تَلْعَبُ عَلىَ التَّصاَدِياَّتِ الصَّوْتِيَّةِ [كلها تنتهي بِياَءٍ مَنْصوُبَةٍ] والتَّوازِياَّتِ النَّحْوِيَّةِ الْمُقْتَضَبَةُ، فِي تَقْتِيرٍ لُغَوِيٍّ باَلِغٍ"، مع تِكْراَرِ الْأَلْفاَظِ — وَواَوِ الْعَطْفِ — الَّذِي يُعْطِي النَّصَّ غِنىً موُسِيقِياً. اسْتَفاَدَ راَمْبوُ هُناَ كَثِيراً مِنْ صَنْعَةِ فرْلِينْ الْإِيْقاَعِيَّةِ وَالْموُسِيقِيَّةِ فِي قَصاَئِدِهِ،حَيْثُ كاَنَ رَفِيقَهِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، إِذْ أَمْضَياَ وَقْتَهُماَ فِي الْحَوْمِ بَيْنَ بَلْجِيكاَ، لُنْدُنْ وَشْتوُتْكاَرْتْ.

[2] فِي النَّشْرَةِ التي حَقَّقَهاَ بييرْ برْوُنِيلْ [Pierre Brunel, *La Pochothèque*]، يُقَدِّمُ تَأْوِيلَيْنِ مختلفين: قَدْ تَكوُنُ تَوَقُّفاَتُ الْحَياَةِ لَحَظاَتِ انْتِشاَءٍ أَوْ أَوْقاَتَ أَزَماَتٍ. وَقَدْ تُغَلِّبُ الْجُمْلَتاَنِ التَّعَجُّبِيَّتاَنِ الْخِتاَمِيَّتاَنِ فِي الْقَصِيدَةِ التَّأْوِيلَ الْأَوَّلَ، بِاعْتِباَرِهِماَ تَعْبِيراً عَنْ لَحْظَةٍ شِعْرِيَّةٍ يَنْتَشِي فِيهاَ الْمُتَكَلِّمُ بِالْعاَلَمِ كَماَ هُوَ، لَكِنَّ ذَلِكَ لاَ يَعوُقُهُ فِي التَّقَدُّمِ نَحْوَ الْمَجْهُولِ، نَحْوَ ماَ جَدَّ لِلْقَطْعِ جِذْرِياً مَعَ كَيْنوُنَتِهِ الْحاَلِيَّةِ. بِهَذاَ يَكوُنُ التَّوَقُّفُ نَقِيضاً دَقِيقاً لِلرَّحِيلِ، لِلْحَرَكَةِ.

[3] رَحِيلٌ فِي... وَلَيْسَ نَحْوَ...، كَأَنَّ الْحَرَكَةَ سَتَأْتِي بِعاَلَمٍ جَدِيدٍ، تاَرِكَةً الْقَدِيمَ الْمُتَلاَشِي. لِهذا يمكن اعتبار رحيل رامبو بِدايَةً مُطْلَقَةً: رَفْضُ الْقَدِيمِ

مُلوُكِيَّةٌ

ذاَتَ صَباَحٍ جَميلٍ، بَيْنَ ظُهْراَنَيْ قَوْمٍ باَلِغي الرِّقَّةِ، كاَنَ يَتَعاَلَىَ صُياَحُ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ فاَتِنَيْنِ في الساَّحَةِ الْعُموُمِيَّةِ. "أَيْ أُصَيْحاَبي، أُريدُهاَ مَلِكَةً!" "أُريدُ أَنْ أَكوُنَ مَلِكَةً!" كاَنَتْ تَضْحَكُ وَتَرْتَجِفُ، كاَنَ يُحَدِّثُ خِلاَّنَهُ في شَأْنِ إِلْهاَمٍ، في شَأْنِ بَلْوىَ انْتَهَتْ. كاَناَ مَأْخوُذَيْنِ بِبَعْضَيْهِماَ مُتَرَنِّحَيْنِ.

صاَراَ، فِعْلاً، مَلِكَيْنِ طَواَلَ صَبيحَةٍ ارْتَفَعَتْ فيهاَ الْبُسُطُ الْقُرْمُزِيَّةُ فَوْقَ الْبُيوُتاَتِ، وَطيِلَةَ الظَّهيرَةِ، حَيْثُ تَقَدَّماَ جِهَةَ جَناَئِنِ سَعْفِ النَّخيلِ.

الْمَعْلوُمِ مِنْ أَجْلِ الْجَديدِ الْمَجْهوُلِ. عَلاَمَةُ التَّعَجُّبِ في نِهاَيَةِ الْجُمْلَةِ الْخِتاَمِيَّةِ تَجْعَلُ مِنْهاَ نِداَءً يُوَجِّهُهُ الشاَّعِرُ لِنَفْسِهِ. أَماَّ وَجاَزَةُ هَذِهِ الْفَقْرَةِ الْأَخيرَةِ وَإِيْقاَعُهاَ الْجَهيرُ فَتَعْبيرٌ عَنْ حِدَّةِ الْانْطِلاَقَةِ نَحْوَ الْمَجْهوُلِ.

[1] الْعِباَرَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ الَّتي اخْتاَرَهاَ راَمْبوُ — كَمُقاَبِلِهاَ الْعَرَبِيِّ — غاَمِضَةٌ، تَحْتَمِلُ الْمَعْنَيَيْنِ الْحِسيِّ وَالْعاَطِفيِ.

إِلىَ عَقْلٍ

نَقْرَةٌ مِنْ إِصْبِعِكَ عَلىَ الطَّبْلِ تُطْلِقُ كُلَّ الْأَصْواَتِ وَتَسْتَهِلُّ النَّغَمَ الْجَدِيدَ.

خَطْوَةٌ مِنْكَ، وَهاَ هِيَ هَبَّةُ الرِّجاَلِ الْجَدِيدِينَ وَصَيْحَتِهِمْ أَنْ تَقَدَّمواُ.

هاَمَتُكَ تَدوُرُ: الْحُبُّ الْجَدِيدُ!

هاَمَتُكَ تَلْتَفِتُ خَلْفاً — الْحُبُّ الْجَدِيدُ!

"غَيِّرْ حِصَصَناَ، اخْرُمِ الدَّواَهِي، ابْتِداَءً بِالزَّمَنِ"، كَذاَ يُغَنِّي لَكَ أُوْلاَءِ الْأَطْفاَلُ. "اسْمُ إِلىَ أَيِّ مَكاَنٍ بِمَكْنوُنِ أَقْداَرِناَ وَمُتَمَنَّياَتِناَ" نَتَوَسَّلُكَ.

أَيْ قُدوُمَ كُلِّ يَوْمٍ، السَّاَعِيَ نَحْوَ كُلِّ مَكاَنٍ.

اَلْجُسوُرُ

سَماَواَتٌ رَماَدِيَّةٌ بِلَّوْرٌ. رَسْمٌ غَرِيبٌ لِقَناَطِرَ، ذِهِ مُسْتَقِيمَةٌ، تِلْكَ مُحَدَّبَةٌ، أُخْرىَ هاَبِطَةٌ أَوْ مُنْحَرِفَةٌ فِي هَيْأَةِ زَواَياَ عَلىَ سَابِقاَتِهاَ، وَهَذِهِ الْأَشْكاَلُ الْتَتَجَدَّدُ فِي الدأَّراَتِ الْأُخْرىَ الْمُضاَءَةِ لِلْقَناَةِ، وَلَكِنِّ الْمَدِيدَةِ وَالْخَفِيفَةِ بِأَسْرِهاَ بِحَيْثُ أَنَّ الضِّفاَفَ الْمُثْقَلَةَ بِالْقِباَبِ تَنْحَنِي وَتَتضاَءَلُ. بَعْضُ هاَتِهِ الْجُسوُرِ ماَ زاَلَتْ مُثْقَلَةً بِالْخِرَبِ. أُخْرىَ تُسْنِدُ صَواَرِيَ، إِشاَراَتٍ، حَواَجِزَ هَشَّةً. رَواَبِطُ صُغْرىَ تَتَقاَطَعُ، وَتَنْفَتِلُ، حِباَلٌ تَصاَّعَدُ مِنَ الشُّطْآنِ. نَتَمَيَّزُ سُتْرَةً حَمْراَءَ، وَرُبَّماَ أَلْبَسَةً أُخْرىَ وَآلاَتٍ موُسِيقِيَّةً. أَهِيَ أَنْغاَمٌ شَعْبِيَّةٌ، وَصْلاَتٌ مِنْ حَفَلاَتٍ موُسِيقِيَّةٍ لِأَسْياَدٍ، بَقاَياَ أَناَشِيدَ جَماَهِيرِيَّةٍ؟ الْماَءُ رَماَدِيٌّ وَأَزْرَقُ، شاَسِعٌ كَمَضْيَقٍ بَحْرِيٍّ. — شُعاَعٌ أَبْيَضُ، يَسأَّقَطُ مِنْ أَعاَلِي السَّماَءِ، يُفْنِي هَذِهِ الْمَلْهاَةَ.

فَجْرٌ

عاَنَقْتُ فَجْرَ الصَّيْفِ.

ماَ مِنْ شَيْءٍ كاَنَ يَتَحَرَّكُ بَعْدُ عَلىَ جَبْهَةِ الْقُصوُرِ. كاَنَ الْـماَءُ مَيِّتًا. لَمْ تَكُنْ مُعَسْكَراَتُ الظِّلاَلِ لِتُغاَدِرَ الطَّرِيقَ إِلىَ الْحَرَجِ. مَشَيْتُ، مُوْقِظاً النَّسَماَتِ الْحَيَّةَ وَالدافِئَةَ، وَقَدْ رَنَتِ الْأَحْجاَرُ الْكَرِيمَةُ وَاهْتَزَّتِ الْأَجْنِحَةُ دوُنَماَ ضَجِيجٍ.

كاَنَتْ أَوَّلُ مُحاوَلَةٍ، فِي الْـمَسْلَكِ الْـمُفْعَمِ آنِفاً بِالْتِماَعاَتٍ نَدِيَّةٍ وَشاَحِبَةٍ، زَهْرَةً قاَلَتْ لِي اسْمَهاَ.

ضَحِكْتُ لِلْـ wasserfall[1] الْأَشْقَرِ الَّذِي تَشَعَّثَ عَبْرَ أَشْجاَرِ التَّنوُّبِ: عِنْدَ الْقِمَّةِ الْـمُفَضَّضَةِ مَيَّزْتُ الرَّبَّةَ.

آنَذاَكَ رَفَعْتُ الْأَرْدِيَةَ واَحِداً واَحِداً. فِي الْـمِخرَفَةِ، وَأَناَ أُلَوِّحُ بِذِراَعَيَّ. عَبْرَ السَّهْلِ، حَيْثُ وَشَيْتُ بِهاَ لِلدِيِّكِ. فِي الْـمَدِينَةِ الْفَسِيحَةِ كاَنَتْ تَتَهَرَّبُ بَيْنَ الْأَبْراَجِ وَالْقِباَبِ، وَمُهَرْوِلاً كَشَحاَّذٍ عَلىَ أَرْصِفَةٍ مِنْ رُخاَمٍ كُنْتُ أُطاَرِدُهاَ.

فِي الطَّرِيقِ، مِنْ عَلٍ، قُرْبَ حَرَجٍ مِنْ غاَرٍ، أَحَطْتُهاَ بِأَرْدِيَتِهاَ الْـمُكَوَّمَةِ، وَأَحْسَسْتُ قَلِيلاً بِجَسَدِهاَ الرَّحْبِ. سَقَطَ الطِّفْلُ وَالْفَجْرُ جَنْبَ الْحَرَجِ قَصِياًّ.

عِنْدَ الْاسْتِيْقاَظِ، كاَنَتْ قَدْ حَلَّتِ الظَّهِيرَةُ.

---

[1] أَيْ: الشَّلاَّلُ، بِالْأَلْماَنِيَّةِ فِي النَّصِّ الْأَصْلِ.

زُهورٌ

اِنْطِلاَقـاً مِـنْ مُـدَرَّجٍ ذَهَبِـيٍّ، — وَسْـطَ خُوَيْطـاَتِ الْحَرِيـرِ الْمَبْرُومَـةِ، الـضِّماَداَتِ الرَّماَدِيَّـةِ، أَثْـواَبِ الْقَطِيفَـةِ الْخَـضْراَءِ وَأَقْراَصِ الْبِلَّوْرِ الَّتِي تَسْوَدُّ كَالْقِصْدِيرِ تَحْتَ الشَّمْسِ، — أَرىَ الْقِمَعِيَّةَ تَتَفَتَّحُ فَوْقَ بِساَطٍ مِنْ مَصوُغاَتٍ مُخَرَّمَةٍ مِـنْ فِـضَّةٍ، مِنْ عُيوُنٍ وَوَفْراَتٍ.

قِطَعُ ذَهَـبٍ أَصْـفَرَ مَبْثوُثَـةٌ فَـوْقَ الْعَقِيـقِ، أَعْمِـدَةُ الْأَكـاَجوُ تُسْنِدُ قُبَّةَ زُمُرُّدٍ، باَقاَتٌ مِنَ السأَّتاَنِ الْأَبْـيَضِ وَقُـضْباَنٌ دَقِيقَـةٌ مِنَ الْياَقوُتِ الْأَحْمَرِ تُحِيطُ بِوَرْدَةِ الْماَءِ.

كَإِلَهٍ ذِي عَيْنَيْنِ ضَـخْمَتَيْنِ زَرْقـاَوَيْنِ وَبِأَشْـكاَلِ الـثَّلْجِ، يَجْـذِبُ الْبَحْرُ وَالـسَّماَءُ نَحْـوَ بِلاَطـاَتِ الرُّخـاَمِ حَـشْدَ الْـوُرُودِ الْفَتِيَّـةِ وَالْقَوِيَّةِ.

لَوْحَةٌ بَحْرِيَّةٌ

مَرْكَبَاتُ الْفِضَّةِ وَالنُّحاَسِ—
جَآجِئُ الصُّلْبِ وَالْفِضَّةِ —
تَجوُبُ الزَّبَدَ، —
تَهُزُّ أَجْداَلَ الْعَوْسَجِ —
مَجاَرِي الْبَراَحِ،
وَأَخاَديدُ الْجَزْرِ الْعَميقَةُ،
تَتَّخِذُ مَساَرَهاَ داَئِرِياً نَحْوَ الشَّرْقِ،
نَحْوَ دَعاَماَتِ الْغاَبَةِ، —
نَحْوَ رَكاَئِزِ الرَّصيفِ،
ذي الرُّكْنِ الَّذي ارْتَطَمَتْ بِهِ
دَوّاَماَتٌ مِنْ أَلَقٍ.[1]

---

[1] لَا يُمْكِنُ اسْتِيْعَابُ فَضَاءَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ جَيِّداً دُونَ وَضْعِهَا إِزَاءَ لَوَحَاتِ التَّشْكِيلِيِّ الْإِنْجْلِيزِيِّ تِرْنِرْ —1775] Joseph Mallord William Turner 1851]؛ وَخُصُوصاً اللَّوْحَةِ الَّتِي تَتَصَادَى مَعَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، الْمَوْسُومَةِ بِـ **مَطَرٌ، بُخاَرٌ، سُرْعَةٌ** *Pluie, vapeur, vitesse* 1844 الْمَعْرُوضَةِ بِالرِّوَاقِ الْوَطَنِيِّ بِلَنْدِنْ National Gallery، وَالَّتِي يَجْمَعُ فِيهَا الرَّسَّامُ بَيْنَ الْهَوَاءِ، النَّارِ وَالْمَاءِ لِيُعْطِيَ اللَّوْحَةَ نَفْسَ الْوَحْدَةِ عَبْرَ الْاشْتِغَالِ عَلَى الْمَادَّةِ اللَّوْنِيَّةِ؛ وَقَدْ كَانَ هَذَا التَّنَاوُلُ غَرِيباً فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ. وَلَكِنَّ مَا يُثِيرُ فِيهَا هُوَ قُوَّتُهَا الْإِيْحَائِيَّةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنِ الْإِنْسَانِ وَالْآلَةِ، آلَةِ الْغَرْبِ الشَّاسِعِ، الْقِطَارِ الَّذِي جَاوَزَتْ سُرْعَتُهُ الْ 144 كِلُم/ السَّاعَةِ كَرَقْمٍ قِيَاسِيٍّ. وَقَدْ أَثَارَتْ هَذِهِ الْقُماَشَةُ انْتِبَاهَ مُونِي Monet وبِيسَارُو Pissarro أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِمَا لِلَنْدِنْ سَنَةَ 1870.

حَفْلُ الشِّتاَءِ

اَلشَّلاَّلُ يَرِنُّ مِنْ وَراَءِ أَكْواخِ الْأُوْبراَ-الْمَلْهاَةِ. أَشْجاَرٌ مُشَذَّبَةٌ فِي هَيْأَةِ هَرَمٍ تَمْتَدُّ، فِي الْحَداَئِقِ وَالْمِخْرَفاَتِ الْمُجاَوِرَةِ لِلْمِياَنْدْرِ[1]، — بِاخْضِراَرِاتٍ وَاحْمِراَراَتِ الْمَغِيبِ. حوُرِياَّتُ هوُراَسْيوُسْ[2] مُعْتَمِراَتٍ قُبَّعاَتٍ وِفْقَ تَقْلِيعاَتِ الْعَهْدِ الْإِمْبْراَطوُرِيِّ الْأَوَّلِ[3]، — رَقَصاَتٌ داَئِرِيَّةٌ سِيبِيرِيَّةٌ، صِينِياَّتُ بوُشِي[4].

---

[1] Méandre: نَهْرٌ مُتَعَرِّجٌ فِي آسْياَ الصُّغْرىَ.

[2] Horace: شاعِرٌ إِغْرِيقِيٌّ [8—65 ق.م.]

[3] عهد نَابوُلْيوُنْ.

[4] Boucher: تَشْكِيلِيٌّ فَرَنْسِيٌّ [1703—1770] كَمُتَخَصِّصٍ فِي الْجِداَرِياَّتِ، رَسَمَ مَشاَهِدَ صِينِيَّةً خَصِيِّصاً لِلْبُسُطِ

بَرْبَرِيٌّ

طَوِيلاً بَعْدَ الْأَيَّامِ وَالْفُصوُلِ، وَالْكاَئِناَتِ وَالْبُلْداَنِ،

السُّراَدِقُ مِنْ لَحْمٍ ناَزِفٍ فَوْقَ حَرِيرِ الْبِحاَرِ وَأَزْهاَرِ الْمُتَجَمِّدِ الشَّماَلِيِّ، [لاَ وُجوُدَ لَهاَ.]

مُتَعاَفِياً مِنَ الْأَبْواَقِ الْعَتِيقَةِ لِلْبُطوُلَةِ — تِلْكَ الَّتِي ماَ زاَلَتْ تُهاَجِمُ أَفْئِدَتَناَ وَرُؤُوسَناَ — بَعِيداً عَنِ السَّفاَّحِينَ الْقُداَمىَ —

— يَا لِلسُّراَدِقِ مِنْ لَحْمٍ ناَزِفٍ فَوْقَ حَرِيرِ الْبِحاَرِ وَأَزْهاَرِ الْمُتَجَمِّدِ الشَّماَلِيِّ، [لاَ وُجوُدَ لَهاَ.]

لَطاَفاَتٌ!

مِجْمَراَتٌ تُمْطِرُ بِهَباَّتِ الصَّقِيعِ، — لَطاَفاَتٌ! — النِّيرَاَنُ فِي مَطَرِ رِيحِ الْماَساَتِ الْمَقْذوُفَةِ مِنَ الْقَلْبِ الْأَرْضِيِّ الْمُتَكَلِّسِ أَبَدِياً مِنْ أَجْلِناَ. — يَا لِلْعاَلَمِ! —

[بَعِيداً عَنِ الْمُنْتَبَذاَتِ الْعَتِيقَةِ وَاللُّهُبِ الْعَتِيقَةِ، تِلْكَ الَّتِي نُصْغِي لِهاَ، الَّتِي نُحِسُّ بِهاَ،]

يَا لِلَّطاَفاَتِ، يَا لِلْعاَلَمِ، يَا لِلْموُسِيقىَ! وَثَمَّةَ، الْأَشْكاَلُ، الْعَرَقُ، الْوَفْراَتُ وَالْعُيوُنُ، طاَفِيَةٌ. وَالدُّموُعُ الْبِيضُ، الْفَواَّرَةُ، — يَا لِلَّطاَفاَتِ — وَالصَّوْتُ الْأُنْثَوِيُّ الْآتِي مِنْ أَعْماَقِ الْبَراَكِينِ وَكُهوُفِ الْمُتَجَمِّدِ الشَّماَلِيِّ.

اَلسُّراَدِقُ...

بَتْمْ[1]

لِكَوْنِ الْواَقِعِ شاَئِكاً أَكْثَرَ مِنَ اللاَّزِمِ مَعَ طَبْعِي الْكَبِيرِ، — وَجَدْتُنِي رُغْمَ ذَلِكَ عِنْدَ مَلِيكَتِي، فِي هَيْأَةِ طاَئِرٍ ضَخْمٍ رَمَادِيٍّ أَزْرَقَ[2] مُتَحَفِّزاً لِلتَّحْلِيقِ نَحْوَ نُقُوشِ السَّقْفِ وَساَحِباً جَناَحيِ فِي حُلْكَةِ الْأُمْسِيَّةِ.

كُنْتُ، عِنْدَ الْعَرْشِ الْمُتَحَمِّلِ لِحِلِيِّهاَ الْمَعْبُودَةِ وَتُحَفِهاَ الْجَسَدِيَّةِ، دُباًّ ضَخْماً[3] بِلَثَّةٍ بَنَفْسَجِيَّةٍ وَزَغَبٍ شاَبَ بِالْهَمِّ، بِعَيْنَيْنِ تُشِعاَّنِ بِلَّوْراً وَفِضَّةَ مِنْضَداَتٍ.

صاَرَ كُلُّ شَيْءٍ حُلْكَةً وَصِهْرِيجَ أَسْماَكٍ مُضْطَرِماً.

فِي الصَّباَحِ، — فَجْرَ يوُنْيوُ الْمَيالِّ لِلْحَرْبِ،— هَرَعْتُ نَحْوَ الْحُقوُلِ، حِماَراً، نافِخاً فِي النَّفيرِ وَمُلَوِّحاً بِشَكْواَيَ، إِلىَ أَنْ أَتَتْ ساَبِينِياَّتُ[4] الضاَّحِيَةِ لِلِارْتِماَءِ عَلىَ صَدْرِي.

---

[1] عُنْواَنُ الْقَصِيدَةِ، فِي الْبَدْءِ، كاَنَ: **انْمِساَخاَتٌ**، وَثَمَّ شَطْبُهُ وَتَعْوِيضُهُ بِالْحاَلِي. بَتْمْ: مِنْ شَخْصِياَّتِ مَسْرَحِيَّةِ شِكْسْبِيرْ **حُلْمُ لَيْلَةِ صَيْفٍ**. انْمَسَخَ فِي هَيْأَةِ حِماَرٍ.

[2] فِي حِكاَيَةِ **الطاَّئِرُ الْأَزْرَقُ** الشَّعْبِيَّةِ، يَسْتَحِيلُ عاَشِقٌ طاَئِراً أَزْرَقَ لِوَصْلِ حَبِيبَتِهِ السَّجِينَةِ فِي أَعاَلِي أَحَدِ الْأَبْراَجِ.

[3] يَتَذَكَّرُ راَمْبوُ، هُناَ، حِكاَيَةَ **الْجَمِيلَةُ وَالْوَحْشُ** الشَّعْبِيَّةَ.

[4] نِسْبَةً لِمَنْطَقَةِ ساَبِيناَ: مَنْطَقَةٌ وَسَطَ إِيطاَلْياَ قَدِيماً، كاَنَتْ تُقِيمُ بِهاَ أَقْواَمٌ خاَضَتْ حُرُوباً مَرِيرَةً مَعَ روُماَ. بَعْدَ تَأْسِيسِ الْعاَصِمَةِ روُماَ [753 ق. م.]، عِنْدَماَ أَرَادَ روُمُولِيسْ جَلْبَ نِساَءٍ لِرِجاَلِهِ، الْتَجَأَ إِلىَ تَنْظِيمِ حَفَلاَتٍ وَأَلْعاَبٍ فِي الْمَدِينَةِ لِجَذْبِ أَهاَلِي الْحَواَضِرِ الْمُجاَوِرَةِ. فِي خِضَمِّ الْاحْتِفاَلاَتِ، اخْتَطَفَ الروُّماَنُ فَتَياَتٍ عَدِيداَتٍ، غاَلِبُهُنَّ مِنَ الساَّبِينِياَّتِ، مِماَّ أَشْعَلَ أَواَرَ الْحَرْبِ

هَاءْ

كُلُّ الْبَشَاعَاتِ تَغْتَصِبُ حَرَكَاتِ هُرْتُنْسْيَا الْفَظِيعَةَ. تَوَحُّدُهَا هُوَ الْآلِيَّةُ الْأَيْرُوتِيكِيَّةُ؛ مَلَلُهَا، الدِّينَامِكِيَّةُ الْعَاشِقَةُ. تَحْتَ مُرَاقَبَةِ طُفُولَةٍ كَانَتْ، فِي فَتَرَاتٍ عَدِيدَةٍ، حِفْظَ صِحَّةِ أَجَّاجاً لِلْأَعْرَاقِ. بَابُهَا مَفْتُوحٌ لِلْبُؤْسِ. هُنَاكَ، تَفْقُدُ أَخْلَاقِيَّةُ الْكَائِنَاتِ الْحَالِيَّةِ جَسَدَهَا فِي صَبَابَتِهَا أَوْ فِي حَرَكَتِهَا — يَا لِلرَّعْشَةِ الرَّهِيبَةِ لِلتَّعَشُّقَاتِ الْغَرِيرَةِ، عَلَى الْبِلَاطِ الدَّامِي وَعَبْرَ الْهِيدْرُوجِينِ الْغَازِيِّ الْمُضِيءِ! جِدُوا هُرْتُنْسْيَا.

بَيْنَ الْجانِبَيْنِ، لِتَضَعَ أَوْزارَهاَ بِإِبْرامِ مُعاهَدَةِ تَحالُفٍ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ. وَقَدْ ساهَمَتِ السَّابِينِيَّاتُ، اللَّواتِي عوُمِلْنَ بِودٍّ مِنْ طَرَفِ أَزْواجِهِنَّ الْمُخْتَطِفِينِ، فِي تَدْعِيمِ هَذا الْوِفاقِ، لِيَمْتَزِجَ الْقَوْمانِ فِي شَعْبٍ واحِدٍ، بِأَنِ ارْتَمَيْنَ، حَسَبَ الْمُؤَرِّخِ الرُّومانِيِّ تِيتُوسْ لِيفِيوُسْ، بَيْنَ آباَئِهِنَّ وَأَزْواجِهِنَّ، لِفَضِّ النِّزاعِ. لَكِنَّ رامْبُوُ، هُناَ، يُحَوِّلُ بُطُولاَتِ التَّارِيخِ الزَّائِفَةَ، لِسُلُوكٍ يَوْمِيٍّ بَسِيطٍ: رُبَّماَ يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ هُناَ بِعاَهِراَتِ الْأَحْياَءِ الْخَلْفِيَّةِ!

دِيمُقْرَاطِيَّةٌ

"اَلْبَيْرَقُ مَاشٍ نَحْوَ الْمَنْظَرِ الْقَبِيحِ، أَماَّ لَهْجَتُناَ الْمَحَلِّيَّةُ فَتَخْنُقُ الطَّبْلَ.

فِي الْمَرَاكِزِ سَنُغَذيِّ التَّعَهُّرَ الْمُغْرِقَ فِي اسْتِخْفَافِهِ بِالْمَشَاعِرِ. سَنُبِيدُ التَّمَرُّدَاتِ الْمَنْطِقِيَّةَ.

فِي الْبُلْدَانِ الْمُفَلْفَلَةِ وَالْمَائِيَّةِ اللَّوْنِ! — فِي خِدْمَةِ أَبْشَعِ اسْتِغْلَالَاتٍ صِناَعِيَّةٍ وَعَسْكَرِيَّةٍ.

إِلَى اللِّقَاءِ هُناَ، فِي أَيِّ مَكَانٍ. نَحْنُ مُجَنَّدِي النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ، سَنَعْتَنِقُ فَلْسَفَةً مُفْتَرِسَةً؛ جَاهِلِينَ بِالْعِلْمِ، دُهَاةً مِنْ أَجْلِ الرَّفَاهِيَّةِ؛ الْهَلَاكُ لِلْعَالَمِ الَّذِي يَمْضِي. إِنَّهَا الْمَسِيرَةُ الْحَقِيقِيَّةُ. إِلَى الْأَمَامِ، عَلَى الطَّرِيقِ!"